QALAM INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC AND HUMANITIES RESEARCH

دور المثقف الإسلامي في إصلاح المجتمع "محمد إقبال أنموذجاً

[THE ROLE OF MUSLIM INTELLECTUALS IN THE REFORMATION OF SOCIETY: THE CASE OF MUHAMMAD IQBAL]

DAHAN ALI MUHAMMED AL-QUBATLI,[1] MOHAMMED MUNEER'DEEN OLODO AL-SHAFI'I,[1*] & HUSSEIN ALI ABDULLAH AL-THULAIA[1*]

[1*] Fakulti Pengajian Kontemporari Islam, Universiti Sultan Zainal Abidin, Kampus Gong Badak, 21300 Kuala Nerus, Terengganu, MALAYSIA.
E-mail: dahanalim@gmail.com; mmolodo@unisza.edu.my; husseinali@unisza.edu.my

Received: 5 Febuary 2022 *Accepted: 20 Febuari 2022* *Published: 31 March 2022*

Abstract: Muhammad Iqbal (May Allah have mercy on him) is considered one of the greatest reformists who called for the supremacy of Islam. They equally opposed the western civilization that distorted morals, corrupted societies, and contributed to the idea of patriotism and nationalism which produced a morally unclean and intellectually weak generation. However, some Muslim intellectuals have abandoned the role entrusted to them, which gave way to other intellectuals with destructive ideologies. This situation has become disastrous to Muslim society in general and Yemeni citizens in particular. Therefore, this paper focuses on Muslim intellectuals' contribution to the reformation of society as well as their presence and conscious reaction to the intellectual arena. In particular, this study aims to highlight the role of Muhammad Iqbal (May Allah have mercy on him) in enlightening Muslim society and reviving the spirit of cooperation among them. The study employed an inductive descriptive method to explain how Muslim intellectuals contribute to social reform and how their absence affects Muslim society. The findings of this study revealed that the Muslim philosopher, Muhammad Iqbal, represents a living example of excellence in the reformation of society, and his philosophy continues to be echoed and accepted. Muhammad Iqbal's understanding of reality and conscious interaction are exceptional in the eradication of ignorance and backwardness which, in turn, contributes to the advancement of society. Nevertheless, the withdrawal of Muslim intellectuals from the ideological war is considered a major problem with long-term effects on society.

Keywords: Role, Muslim Intellectuals, Reformation of Society.

ملخص: يُعتبر محمد إقبال رحمه الله من أعظم المصلِحين المجددين، الدّاعين إلى سيادة الإسلام، والثائرين على الحضارة الغربية التي شوّهت القِيم، وأفسدت المجتمعات، وساهمت في إذكاء روح الوطنية والقومية، فأنتجت لنا جيلا مُلوّثا أخلاقيا، ومُعوقاً فكريا. وتظهر مشكلة البحث أن المجتمعات الإسلامية تشكو من غياب المثقفين الإسلاميين، وتخلّي البعض منهم عن أدواره المنوطة به مما أفسح المجال أمام التّيارات الفكريّة الأخرى، والتي تنطلقُ من أيديولوجيات هدّامة، فكانت النتيجة كارثية دفعت ضريبتها المجتمعات الإسلامية عموما، والمجتمع اليمني على وجه الخصوص. وتهدف الورقة إلى بيان أهمية دور المثقف الإسلامي في إصلاح مجتمعة، وإلى تأكيد حضوره وتفاعله الحيّ في الساحة الفكريّة، كما تهدف إلى إبراز دور محمد إقبال رحمه الله في تنوير المجتمع المسلم، وإحياء روح التعاون فيه. وقد استخدمت الورقة المنهج الاستقرائي والوصفي لرصد خطورة تخلّي المثقف الإسلامي عن أدواره وضرر المجتمع المسلم

منه، وقد خلص البحث إلى نتائج أهمها: أن فيلسوف الإسلام محمد إقبال يُمثّل نموذجا حيّا في آراءه الإصلاحيّة، وهمته الدعويّة، وما زالت أفكاره لها صدى وقبول رغم تباعد السنيين. ومنها: أن فهم المثقف الإسلامي لواقعه، وتفاعله مع عصره يعودان بالنفع على رُقي المجتمع، وانتشاله من براثن التّخلف والجهل. ومنها: انسحاب المثقف الإسلامي عن معركة الحياة المعقدة، وترك الساحة للتيارات الأخرى يعتبر معضلة كبرى، ومشكلة عظمى لها آثارها الخطيرة على الأمد البعيد.

الكلمات المفتاحية: دور، المثقف الإسلامي، إصلاح المجتمع.

Cite This Article:
Dahan Ali Muhammed al-Qubatli, Mohammed Muneer'deen Olodo al-Shafi'i & Hussein Ali Abdullah al-Thulaia. (2022). Dawr al-Musaqqaf al-Islami fi Islah al-Mujtama': Muhammad Iqbal Unmuzajan [The Role of Muslim Intellectuals in The Reformation of Society: The Case of Muhammad Iqbal]. *QALAM International Journal of Islamic and Humanities Research*. 2(1), 68-77.

المقدمة

في القرنين الثالث والرابع الهجريين ظهرت كوكبة مباركة من علماء الأمة المتميزين، والساعين لنهضة الأمة، وبعث حضارتها من جديد وفق المنهج الإلهي العادل، وبناء على ذلك أُبلو بلاء شديدا، وخاضوا معارك كثيرة في معترك الحياة سواء في الجبهة الداخلية كالدعوة إلى تنقية المنهج الإسلامي مما لصق به من خرافات وبدع، والتي كانت تُشكّل أرضًا خصبة للجهل والتخلف، أو في الجبهة الخارجية كتّصدّي لبعض المنظمات الغربية الحاقدة، والتي سعت إلى تشويه رموز الإسلام، والنيل من مقدساته، وتعطيل أحكامه.

لقد تميّزت هذه الكوكبة بصفات حميدة، وذكاء متقد، وهمّة عالية؛ فأُطلِق عليهم فلاسفة الإسلام ، ورواد عصر النهضة؛ كمحمد إقبال، وعلي عزت بيجوفيتش، والطاهر بن عاشور، ومالك بن نبي، وسعيد نورسي، ومحمد عبدة، والعديد من المفكرين البارزين (Iqbal, 2011)، أما مساهماتهم الثقافية والفكرية فهي كثيرة ومتنوعة فقد أثروا المكتبات الإسلامية بعشرات الكتب، ومئات المقالات في الإيمان والسلوك والفلسفة، والتّي تصب في مصلحة المجتمعات الإسلامية، وتحرّض على البعث الحضاري، وعلى إحياء روح التعاون بين الفئات المختلفة، وقد ساهمت آراؤهم الإصلاحية في تحريك عجلة الوعي وفي مسايرة الواقع، وفهم متطلباته المتنوعة، ولا ننسى هجومهم الشديد على المنسحبين من معركة الحياة، والتي اعتبروها مثلبة كبيرة تدل على العجز والخَور، وعلى الشلل التام والذي هو نتجية عدم فهم روح الإسلام، وتفاعله الحيّ مع حركة الزمن المستمرة، هذا وقد أرتأى الباحث أن يتطرّق لعَلَم من أعلام الأمة، وفارس شجاع من فرسانها الميامين، قَلّ أن يجود الزمان بمثله، إنه الفيلسوف المسلم، والأديب المتفرد، والمصلِح المجدِد محمد إقبال رحمه الله حامل لواء الدفاع عن الإسلام في زمانه.

مشكلة البحث

في ظل هيمنة الحضارة الغربية على مجتمعاتنا العربية والإسلامية نلحظ أن مصطلح " المثقف الإسلامي" غائبا عن التداول في الساحة الثقافية، وبعيداً عن المناخ الفكري، والبيان اللّساني، وكأنه ينتمي إلى عصور بائدة، وإلى مناهج قديمة لا علاقة لها بفهم الواقع، وتطوّراته. لقد سعت الحضارة الغربية بكل ثقلها إلى قطع العلاقة بين المثقف والدِّين، وتولّت تصدير هذا المفهوم إلى ساحتنا الثقافية، والفكرية، وكأن ديننا الإسلامي يحارب العلم، ويقف ضد العلماء كرجال الدين في الكنيسة النصرانية الذين جعلوا العلاقة بين العلم والدِّين تصادميّة، وقائمة على المفاصلة والمقاطعة، والمكاشفة، فكانت النتيجة ثورة عارمة على رجال الدين من قبل النّخب الفكرية والمثقّفة.

لقد أنتجت لنا هذه الحضارة الماديّة شبابا مُعوّقِين فكريّا؛ ومُلوّثّين أخلاقيا فحاربوا الفضيلة، باسم الحداثة، ومسّايرة الواقع، وهجروا التّراث باسم التجديد، فأصبحوا كالسوس ينخر في جسد الأمة، فمنهم من يُشكّك في أصولنا وعقيدتنا، ومنهم من يُنكر التّراث؛ باعتباره باليا لا يصلح للواقع، وتجاهلوا أن حضارتنا الإسلامية لا تصادم الواقع، ولا تحارب العلم، لأنها حضارة " اقرأ" بل تحترم كل ما يتلائم مع فطرة الإنسان، وتسعى لترشيده وفق المنهج الربّاني العادل. وقد أشار صاحب كتاب" محنة المثقف الديني مع العصر زكي الميلاد " إلى خطورة غياب المثقف الديني عن الساحة؛ لأنه ترك أثرا سيئا على بنية الفكر الإسلامي، وقدرته على التجديد, ومسارات تطوره، وقال ما نصّه " إننا نُدرك هذا الغياب حينما نجد مفكّراً مثل محمد إقبال (1873-1935) يغيب، وعندها نشعر بفراغ حقيقي في ساحة الفكر الإسلامي، ولا نجد من يسدّ فراقه مبكرا في العالَم الإسلامي فهو المفكّر الذي دعا منذ وقت مبكّر إلى تجديد التفكير الديني في الإسلام، وقدّم نقداً فلسفيا للثقافة الأوربية اتسم بالعُمق, وجرى على أسس من الفهم العلمي " (A.D, 2012) وكذلك حين لا نجد مفكرا مثل مالك بن نبي رحمه الله, كما أشار إلى ذلك صاحب المصدر أعلاه، الذي استطاع أن يرتقي بالفكر الإسلامي نحو مشكلات الحضارة, وعلى هذا المستوى قدّم رؤية كانت على قدر كبير من النضج والتماسك في التحليل الحضاري لمشكلات الأمة, وشروط نهضتها (A.D, 2012)، ومع هذا الفراغ الذي تعانيه مجتمعاتنا؛ فإنه يتنبغي على المثقفين المسلمين أن يسعوا لسدِّ الفراغ, وأن ينتقِلوا من موقع التنظِير إلى موقع العمل.

منهج البحث

سينهج الباحث في هذا البحث النوع الكيفي مع المنهج الوصفي التحليلي، وقد عرف المنهج الكيفي بأنه الدراسة التي يمكن القيام بها أو إجراءها في السياق حيث يقوم الباحث بجمع البيانات، أو الكلمات ثم القيام بتحليلها بطريقة استقرائية مع التركيز على المعاني التي يذكرها بلغة مقنعة ومعبرة. أو هو تحقيق للفهم، مستندة على التقاليد

المتميزة لمنهج البحث العلمي التي تقوم بالكشف عن مشكلة اجتماعية أو إنسانية. ويقوم الباحث ببناء صورة شمولية (al-Baldawi, 2007).

تعريف المصطلحات

تعريف المثقف الإسلامي: بعد التنقيب في الكتب, وقراءة البحوث المستفيضة المتعلقة بهذا الموضوع, وجد الباحث أن معظم المصادر والمراجع التي تتحدث عن المثقف العربي لم تتناول تعريف المثقف الإسلامي على الإطلاق، وقد يعود ذلك إلى اعتقادهم ؛بأن النزعة النقدية للمثقف تعتبر مُطلقة، لا تقيدها حدود، ولا تحكمها قوانين كما في أدبيات الفكر الأوربي, وبناء على هذا الفهم المغلوط تم تجاهل هذا المصطلح ؛ إلا أن بعض الباحثين الإسلاميين كان لهم في الفترة الأخيرة شرف المحاولة في تعريفه, وسيذكر الباحث بعضا منهم, ومن ثّم سيقوم بتعريفه بناء على فهمه واجتهاده ودارسته، لعلّه يسهم في ترسيخ هذا المصطلح على ساحة الجدال الثقافي والفكري في المنتديات الثقافية, والمراكز الفكرية.

1. زكي الميلاد: المثقف الإسلامي " هو الذي يجعل من الدِّين هديا ومرجعا ومسلكا له, ويُبدع مُعاصرته وحداثته على قاعدة الدين, والعلاقة بين الدين والمعاصرة في همه ورؤيته ليست على تضاد أو تناقض أو تصادم "(A.D, 2012) .
2. عبد الرحمن الزنيدي: المثقف الإسلامي " هو الذي يستمد نظرته الفكرية من الإسلام"(al-Zanidi, 1433)
3. الباحث: المثقف الإسلامي هو: هو شخصية تنتمي للإسلام الصحيح، وتنظر من خلاله إلى المعارف والتجارب والخبرات الإنسانية في عموم الفنون والعلوم التي تغذي فكره ووعيه وفق منهجية علمية تميز بين الصواب والخطأ والنافع والضار، فالمسلم قائم على أصوله، متصل بجذوره، ناشر فروعه في فضاء المعرفة والفكر ويقتبس منهما كل مفيد.

المبحث الأول: الدعوة التصحيحية للمثقف الإسلامي

المطلب الأول: تمهيد

تعاني مجتمعاتنا الإسلامية من أمراض شتّى، ومن علل كثيرة وخطيرة، وقد صورها لنا الشيخ محمد الغزالى، رحمه الله بدقة متناهية حيث قال: " لا أدري لماذا يخالطني شعور بأنني أعيش في القرن السابع أيام سقوط بغداد، ووفاة الدولة العباسية، أو بعد ذلك بقرنين أيام سقوط غرناطة، واختفاء الإسلام من الأندلس... نعم أحيا في القرن الخامس

عشر، والمسلمون خمس العالم، ومنتشرون في كل القارات، بيد أن هزائم ثقيلة تنزل بهم، ودسائس تحاك ضدهم، وظلمات كثيفة تتجه إلى مستقبلهم، ويستحيل أن يبتسم مسلم مخلص، وهو يرى هذا الهوان يكتنف دينه وقومه... وكيف يبتسم وهو يرى الأخطار تتجه إلى قلب أمته وأطرافها، ومع ذلك فجماهيرنا تلهو وتلعب" (al-Ghazali, 2006). لقد أدرك الغزالي رحمه الله منذ الوهلة الأولى خطورة الوضع القائم، وخطورة المخططات الصليبية التي تحاك ضد المسلمين؛ فأطلق صرخة إنذار لعل النائم يصحو، والغافل ينتبه.

المطلب الثاني: مصادر الخطر على حياتنا

اختصرها الغزالي رحمه الله في كتابه سالف الذكر (al-Ghazali, 2006) إلى نُقطتين:

الأولى: مواريث الثقافة المغشوشة... التي تحتضن الخرافات والبدع، ولا تعرف ركنا من نافة، ولا عادة من عبادة، ولا دنيا من آخره... ولا ترسم للإسلام صورة صحيحة تبرز فيها أهدافه الأولى، وطالبه الثانوية،

الثانية: ما وفد به الاستعمار الثقافي للحضارة المنتصرة... إنها حضارة تنسى الله وتجحد حقوقه، وتعبد اللذة، وتزدري الآخرة... وقد سخّرت الأرض لخدمة إلحادها... على حين وقف المؤمنون الذين يجهلون قواها، لا يستطيعون حراكا، بل لا يحسنون دفاعا.

وانطلاقا من هاتين النقطتين تأتي أهمية دور المثقف الإسلامي في إصلاح مجتمعه، وتضميد جراحه، وانتشاله من براثين الجهل والتخلف، وهنا تكبر المهِمّة، وتقتضي المرحلة أن تتظافر الجهود، ويُفسح المجال أمام المثقفين، ليقوموا بدورهم المنشود على أجمل وجه بدون أن تنصب أمامهم عراقيل، أو توضع حواجز حسّيّة ونفسيّة مما يؤخر عجلة التغيير، ويعود ذلك سلبا على حياة الناس المقهورين.

المطلب الثالث: أساسيات الدعوة التصحيحية

وحتى تتكلل الدعوة التصحيحية بالنجاح، وتصل إلى أهدافها المرجوّة يرى الباحث أنه ينبغي على المثقفين الإسلاميين الاهتمام والتركيز على بعض النّقاط من أهمّها:

النقطة الأولى:

فقه الأولويات بحيث يقدّمون الأولى فالأولى وفق منهجية واضحة وصريحة بعيدا عن العشوائية. والعمل غير المنظم، ومن تأمل النصوص الشرعية في الكتاب والسنة عرف أهمية فقه هذه القاعدة المهمة في الدعوة إلى الله، ومعرفهم أحوال الناس، وقد أتت ثمار الدعوة يانعة بعد تطبيق هذه القاعدة والعمل بها ولأهميتها قال الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله " من المفاهيم المهمة في فقهنا اليوم: ما نبهت عليه في عدد من كتبي، وهو ما أسميته فقه الأولويات، وأعنى به: وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال... بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل"، (al-Qardawi, 1996).ثُم قال حفظه الله في معرض حديثه عن حاجة أمتنا الإسلاميه إلى فقه الأوليات ما نصُّه " من نظر إلى حياتنا في جوانبها المختلفة معنوية كانت أو مادية, فكرية أو سياسية واقتصادية وجد ميزان الأولويات فيها مختلا كل الاختلال... فما يتعلق بالترفيه والفن مقدم على ما يتعلق بالتعليم, وما يتعلق برياضة الأبدان مقدما على رياضة العقول... ولا يقف الإخلال بالأولويات اليوم عند الجماهير، بل وقع منبي المنتسبين إلى التّدين ذاته، وذلك لفقدان العلم الصحيح، والفقه الرشيد" (al-Qardawi, 1996). إن فقه الأوليات علم أصيل ففي ضوئه تتخذ المواقف المصيرية، ومن خلاله تفهم كثير من العلوم والأحكام (al-'Umariyy, 2011).

النقطة الثانية:

تطوير وعي الأمة بقضايا العصر، ينبغي للمثقف الإسلامي أن يفهم لغة العصر، ويواكب تغيراته وتحولاته، ويجاري تطوراته، ويعايش تفاعلاته تأثرا وتأثيرا، وتكن لديه القدرة على تشكيل رؤية تحليلية نقدية، واستشرافية لأوضاع الأمة، ويتطلب منه أن ينقل وعيه لمشكلات العصر إلى أمته، ويطوّر من إدراكها ووعيها لهذه المشكلات، وخاصة التي تُوصف بالعالَمية، أي التي يعاني منها العالم برمته، كالعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، وقضايا الحريات العامة، وتخلل الحياة الاجتماعية، وتفكك الروابط الاجتماعية، بالإضافة إلى التعليم والصحة، والبيئة والتنمية، ولسنا بحاجة إلى مزيد من الاستدلال على ما تعانيه المجتمعات الاسلامية من ضعف ملحوظ في وعيها وفهما، وتتأكد الحاجة إلى الوعي بقضايا العصر ما يشهد العالم من تداخل شديد بين أممه ودوله ومجتمعاته (A.D, 2012).

المبحث الثاني: شخصية محمد إقبال وفلسفته

في كتاب (Iqbal, 1960)، تحدّث مؤلفه أبو الحسن الندوي رحمه الله (al-Nadawi, 1960)، بإسهاب عن جملة من العوامل التي ساهمت، وبشكل فعّال في تكوين شخصية هذا العملاق، ونقلته من حدود بيئته الضيقة إلى العالمية والنجومية، وجعلته محل احترام وتقدير في كثير من دول العالم.

المطلب الأول: العوامل التي كوّنت شخصية محمد إقبال

العامل الأول:

درس في أرقى الجامعات الغربية، وحاز على أعلى الشهادات العصرية في الحضارة، والفلسفة، والاجتماع، والأخلاق، كما كان رحمه الله حريصا على طلب العلم والتزود بالمعارف والمعلومات المتعلقة بالدين، والمتعلق أيضا بتخصصه الفلسفي، وقد بدأ تعليمه في الهند وتنقّل ما بين الهند، وبريطانيا، والمانيا، كما تعمّق في دراسة الفلسفة القديمة، والحديثة، ودراسة الأدب الغربي في مختلف أطوراه.

العامل الثاني:

اشتغاله بدراسة وقراءة الأدب، والتاريخ الإسلامي، والتغني بآثاره، وكذلك حرصه واهتمامه على تربية قلبه وفق المنهج الرباني، وتعاليم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وهذه هي المدرسة الثانية التي تخرّج منها، وقد كان إيمانه بالله هو مصدر حكمته, وقوته, وقد كان رحمه الله شديد الإيمان برسالة الإسلام كما كان مقتنعا أن الإسلام هو الدين الخالد, وأن البشرية لن تسعد إلا به، أما حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان شديدا وقويا، وكتبه وشعره يشهدان على ذلك يقول رحمه الله " إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم؛ بأن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير... لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وُجدت أمة، ووجدت دولة، ووجد دستور، إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعا، وإن كان في الحرب فسيفه يقطر دما، لقد فتح باب الدنيا، بفتاح الدين بأبي هو وأمي لم تلد مثله أم، ولم تنجب مثله الإنسانية" (al-Nadawi, 1960).

العامل الثالث:

هو القرآن الكريم، فقد أثّر فيه أيما تأثير، وأثّر في نفسه وعقله، فأقبل على قراءته إقبال رجل حديث العهد بالإسلام حتى تذوّق ألفاظه، وغاص في بحره فاستخرج منه إيمانا جديدا، وعلما جديدا، وقوة جديدة، وإشراقا جديدا، فاتسعت آفاق فكره، وانفتّحت له الأقفال المعقّدة، وجواب الأسئلة المحيّرة، وعلى إثر ذلك دعا المسلمين إلى قراءته، ودراسته، وتدبره، والاستعانة به في حلول مشاكل العصر، وتحكيمه في الحياة والحكم، وكان يقول رحمه الله؛ بأن القرآن هو منبع القوة، ومصدر الحياة.

العامل الرابع:

في تكوين شخصيته هو معرفته بالنفس، والغوص في أعماقها، والاحتفاظ بكرامتها، وقد كان يرى رحمه الله أن من اعتز بمعرفة نفسه سيسمو بها إلى درجة الملوك، ومن هنا عرف إقبال قيمة نفسه فكان يربأ بنفسه من أن يكون عبدا لغيره حتى قال " لك الحمد يارب، إذ لست من سقط المتاع، ولست من عبيد الملوك والسلاطين، لقد رزقني الله حكمة وفراسة، ولكني أحمد على أنني لم أبعهما لمك من الملوك" (al-Nadawi, 1960), لذلك كان يثور إذا امتحنت عفته، وجُرحت كرامته، فكان يرفض الهدايا، ويعتقد أنه صاحب رسالة في الحياة، وبالفعل كان فياض المشاعر، سائل القريحة، ملهم المعاني، يُقدّر مواهبه تقديرا صحيحا، ويركز على بعث الحياة، و الطموح إلى الحرية، والسيادة.

إن مما يُميز إقبال عن غيره؛ أنه أخضع فكره، وثقافته، وشعره، وفلسفته لرساله الإسلام الخالدة والشاملة فأيقظ أمة، وأشعل قلوبها حماسة، وطموحا، وأصبحت النفوس الحرة لا ترضى بالضيم، وتنشد الكمال، وتدعوا لعودة شريعة الإسلام حاكمة في كل شؤون الحياة.

العامل الخامس:

محافظته على قيام الليل، وعلى مناجاة ربه وقت السحر، فكان يتعرض للنفحات الربانية، ويتزود بنشاط روحي جديد، ويشكو بثه، وحزنه إلى الله، وقد كان رحمه الله عظيم التقدير لهذه الساعات حتى قال" خذ مني ما شئت يارب، ولكن لا تسلبني اللذة بأنَّة السحر، ولا تحرمني نعيمها"، (al-Nadawi, 1960). لقد كان رحمه الله يدعو إلى التمرد على عالم المادية الرعناء، والضيق، وكان يتطلع إلى أجواء الروح الفسيحة، فقد كان التيار العقلي الأروبي في عصره يجرف جميع القيم الخلقية، والروحية، حتى أصبحت الحياة أشبة بالآلات الميكانيكية لا روح فيها.

المطلب الثاني: بواعث فلسفة إقبال

لعل أفضل من تحدث عن دوافع، وبواعث فلسفة إقبال هو الأديب الأريب المتألق نجيب الكيلاني رحمه الله في كتابه إقبال الشعير، هذا الكتاب المتفرّد يعتبر من غُرر الأدب في قسم التراجم والسّير، وهذا ما دفع الباحث إلى انتقاء الفوائد والدّرر منه، وتلخيص ما يُخدم بحثه، وذلك لأهميته في بابه، وحسن عَرضه وترتيبه.

من القواعد المطردة عند أهل الفكر أن لكل فكرة تخطر على بال أي إنسان دوافع وأسباب، ولكل فلسفة بواعث أيضا، ولو تأملنا في فلسفة إقبال، ودعوته الإصلاحية التجديدية، وفكره النهضوي التنويري لوصلنا إلى حقائق واضحة لا لبس فيها، ولا غموض بأن فلسفة إقبال الملتهبة والقوية، والنابضة بالخلود، والناطقة بالتفاؤل ترجع إلى عدة أسباب.

أولا: بسبب حال المسلمين، وجهلهم المزري، وتلويث عقائد الإسلام، والعبث بشرائعه، وكيف أنهم يخافون الموت، ويحرصون على التشبث بالحياة بعد التفرّق، والتمزّق والهوان، وهنا يرى إقبال بضرورة أن يعود المسلم إلى ذاتيه؛ لأن الذاتية في فلسفته هي مصدر الحركة، ومصدر الحياة والنور،كما أنها مركز الإنسانية، ومدار الخلود، وعودة الإنسان إلى ذاته يعني دعمها وتقويتها، ونفي الخوف والجبن عنها. وعليه أن يردّها إلى طريق الحق؛ ويرى أن إهمال الذات هو الجهل بأس البلاء وأصل الداء (al-Kilani, 1957).

ثانيا: وجد الناس يهابون الحكام، ويخافون منهم إلى درجة العبودية المقيته، فلا يكاد يقف إنسان ليعترض على باطل، أو يُنكر منكّرا فأصبح الطغيان أشد من الجاهلية الأولى حتى قال: رحمه الله إن الأصنام ما زال المسلمون يعبدونها حتى اليوم ... وأن لهذه الأصنام ألوانا عديدة، وصورة شتّى، ويا حبذا لو علم المسكين الذي ينشد الهداية أن سجوده لله وحده خير له، وأجدى عليه من هذا الشرك الحديث، وهنا يرى إقبال أن عقيدة التوحيد قد تشوّهت، وأن كثيرا من المسلمين قد اتخذوا من قصور حكامهم معابد يطوفون حولها، ويمرغون كرامتهم، وشرفهم في ترابها، كما أنهم قصدوا أقبية الموتى، وأضرحة الأولياء؛ فزفوا إليها الركبان مسنغفرين لذنوبهم، وراجين الشفاء، والأرزاق (al-Kilani, 1957).

ثالثا: هو رضوخ واستسلام المسلمين لأمر الواقع، وعدم العمل بالسنن الشرعية، واستسلامه للقضاء والقدر بدون أن يصاول الحياة ويصارعها، ويتغلب على عقباتها، ويأخذ للأمر عدته، حتى يصل إلى المرتبة التي أرادها الله، وشخّص إقبال هذه الإشكالية ورأى أنها تتمثل في التواكل فالمسلمون على حسب رأيه ينسون أن لهم إرادة مضمونها الاختيار والحرية، لا القهر والجبر والإرغام، وأن الإنسان مخير لا مسير.

رابعا: هو أن المسلمين يهربون من تحمّل الصعاب، ويستنكفون من الحياة التي يملؤها النضال، ويهزها الكفاح، كما أنهم ينشدون الدعة والسكون، وكأن الحياة في نظرهم قنطرة سهلة ميسورة، وهناك من اعتزل في صومعته، وترك معارك الحياة، وعاش يعبد الله قانتا راهبا، وقد صرخ إقبال في وجوههم، واعتبرهم من ذوي الآفاق الضيقة، فمن لم يذق طعم الآلام لا يستسيغ حلاوة الراحة، ومن لا يتناول جرعات من الشقاء لا يدرك جمال السعادة، أما من اعتزل بصومعته، فقد شهر لهم سيف القول، وكأنه يقول لهم لا تهربوا من الحياة التي خُلقت لكم، وخُلقتم لها، ولا تفروا من المعركة، وقد رأى أن نتيجة هروب هؤلاء من الحياة داهمهم الاستعمار، ولم يجنوا سوى الهزيمة (al-Kilani, 1957).

المطلب الثالث: خلاصة فلسفة وأفكار إقبال رحمه الله

يرى أن الفلسفة المادية أخفقت في حل مشاكل الحياة، وشبّهها بأنها عبارة عن صُدفة لامعة وخالية من اللؤلؤ، وأنها لا تساعد البشر، ولا تمنحهم دستورا جديدا، وأنها تطفئ شعلة القلب، ولا تزيد صاحبها إلا بعدا عن صميم الحياة،

واعتبر أن الدين الإسلامي وحده هو الذي ينظم حياة البشر، ويقدم دستورا للحياة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المصدر الوحيد الذي يستفاد منه في هذا العلم، (al-Nadawi, 1960).

النتائج

توصل الباحث إلى بعض النتائج المهمة منها:

1. أن الشريعة الإسلامية تقبل كل ما هو إنساني، وتقوم بترشيده، وتقويم اعوجاجه وفق المنهج الرباني العادل؛ لذا تعتبر العلاقة بين الدين الإسلامي والمثقف قائمة على هذا المبدأ العادل، بخلاف الحضارة الغربية، والتي جعلت العلاقة بينهما علاقة تصادمية قائمة على المفاصلة والمقاطعة.
2. يعتبر دور المثقف الإسلامي محوريا ومهما في إصلاح المجتمع والنهوض به، وانتشاله من براثين التخلف والجهل.
3. يعتبر فيلسوف الإسلام محمد إقبال رحمه الله من أبرز المجددين للفكر الإسلامي، والمنتصرين لقيم العدل والكرامة، والمدافعين عن حقوق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.
4. اعتبر محمد إقبال أن الفلسفة الغربية أخفقت في حل مشاكل الحياة، واعتبر أن الدين الإسلامي وحده هو الذي ينظم حياة البشر، ويقدم دستورا كاملا للحياة.

References

al-Ghazali, Muhammad. 2006. *Humum Da'iyyah*. Mesir: Nahdah Misr li al-Taba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi'.

Iqbal, Muhammad. 2011. *Tajdid al-Fikr al-Dini fi al-Islam Tarjamah Muhammad Yusuf 'Adas*. Bayrut: Dar al-Kitab al-Lubnani.

al-Kilani, Najib. 1957. *Iqbal al-Sha'ir al-Tha'ir*. Al-Sharikah al-'Arabiyyah li al-Tiba'ah wa al-Nashr.

al-Milad, Zaki. 2012. *Mihnat al-Musqaf al-Dini ma'a al-'Asr*. Bayrut: Isdar al-Markaz al-Islami al-Thaqafi.

al-Nadawi, Abu al-Hasan. 1960. *Rawa'i Iqbal*. Dimashq: Matabi' Dar al-Fikr.

al-Qaradawi, Yusuf. 1996. *Fi Fiqh al-Awlawiyyat: Dirasah Jadidah fi Daw' al-Kitab wa al-Sunnah*. Al-Qahirah: Maktabah Wahbah.

al-'Umar, Nasir. 2011. *Fiqh al-Waqi'*. t.tp.: Maktabah Nur.

al-Zunayd, 'Abd al-Rahman. 2009. *Al-Musaqqaf al-'Arabiyy bayn al-'Usraniyyah wa al-Islamiyyah*. Riyad: Dar Kunuz Ishbiliyya li al-Nashr wa al-Tawzi'.

.